الترسانة النووية الأوروبية: التحديات والآفاق المستقبلية في ظل البيئة الأمنية المتغيرة

عدنان قميري*

المقدمة

شهدت البيئة الأمنية الأوروبية تحولاً جذرياً في السنوات الأخيرة، مدفوعاً بتصاعد التوترات الجيوسياسية، والحرب الروسية الأوكرانية، والمخاوف المتزايدة بشأن استدامة الالتزام الأمريكي تجاه أمن القارة. في هذا السياق المضطرب، عاد الجدل حول الردع النووي الأوروبي إلى الواجهة، ليس كمسألة نظرية، بل كضرورة استراتيجية ملحة. إن الترسانة النووية الأوروبية، المتمثلة في القوتين النوويتين لفرنسا والمملكة المتحدة، تمثل "العمود الفقري" للردع الذاتي للقارة، وتكتسب أهمية قصوى في ظل الحديث عن "الاستقلال الاستراتيجي الأوروبي".

الإشكالية

تتمحور الإشكالية الرئيسية لهذه المقالة حول التساؤل التالي: هل يمكن لأوروبا أن تعتمد على ردعها النووي المستقل (فرنسا والمملكة المتحدة) في ظل تراجع محتمل للمظلة النووية الأمريكية؟ إن الإجابة على هذا السؤال تتطلب تحليلاً معمقاً للوضع الراهن للترسانتين الأوروبيتين، والتطورات الحديثة في التعاون بينهما، والتحديات العقائدية والكمية التي تواجه بناء ردع أوروبي موحد وفعال.

وتستعرض هذه المقالة في الأقسام التالية: الإطار التاريخي والوضع الراهن للردع الأوروبي، ثم التطورات الحديثة التي تقود نحو "ردع أوروبي" متزايد التنسيق، تليها التحديات الجوهرية التي تعترض هذا المسار، وأخيراً، تحليل للبيئة الأمنية المتغيرة والآفاق المستقبلية للردع النووي في القارة.

الكلمات المفتاحية: توترات جيوسياسية، الحرب الروسية الأوكرانية، الردع النووي، الترسانة النووية، التهديد الروسي.

(*) أكاديمي وباحث في الشؤون الأوروبية.

الإطار التاريخي والوضع الراهن للردع الأوروبي

- نشأة القوتين النوويتين الأوروبيتين

تطورت البرامج النووية لكل من فـرنسا والمملكة المتحدة بشكل مستقل، ولكن ضمن سياق الحـرب الباردة. فالمملـكة المتحدة، التـي أجرت أول تجربة نـووية لها في عام ١٩٥٢، اعتمدت بشكل كبير على التعاون مع الولايات المتحدة بموجب اتفاقية الدفاع المشترك لعام ١٩٥٨، مما جعل ترسانتها متكاملة بشكل وثيق مع استراتيجية الناتو. أما فرنـسا، التي أجرت أول تجربـة لها في عام ١٩٦٠، فقد اختـارت مساراً مختلفاً، مـؤكدة عـلى الاستقلال الوطـني لردعهـا (Force de Frappe)، وانسحـبت من الهيكل العسكري المتكامل لحلف الناتو في عام ١٩٦٦، لتعود إليه لاحقاً في عام ٢٠٠٩ .

– المظلة النووية الأمريكية

لطالما كـان الردع الأوروبي يعتمد بشكل أساسي على المظلـة النووية الأمريكية، التي توفرها الـولايات المتحدة عبر حلف الناتـو. وقد أقر حلفاء الناتـو منذ قمة أوتاوا عام ١٩٧٤ بـأن وجود القـوتين النـوويتين الأوروبـيتين يمـثل إضافـة مهمـة للردع الاستراتيجي الأمريكـي، مما يزيد من تعقيد حـسابات الخصوم. ومع ذلك، فإن أي تراجع في الالتزام الأمريكي، أو تحـول تركيز واشنطن نحـو منطقة المحيط الهادئ، يثير مخاوف جدية في العواصم الأوروبية بشأن " فجوة الردع " المحتملة.

– الوضع الراهن للترسانات

تُعد الترسانتـان الفرنسية والبريطانية صغيرتين نسبياً مقارنة بالترسانات الأمريكية والروسية، لكنهما تتمتعان بقدرة ردع ذات مصداقية. ووفقاً لتقرير معهد ستوكهولم الدولي لأبحـاث السلام SIPRI لعام ٢٠٢٥، فـإن القوى النوويـة تسرّع من تحديث ترساناتها، مما يؤكد على أهمية هذه الأصول الاستراتيجية.

الدولة	حجم الترسانة (تقديرات ٢٠٢٥)	العقيدة النووية الرئيسية	وسائل الإيصال
فرنسا	٢٩٠ رأس حربي تقريباً	الردع الأدنى المستقل، التركيز على المصالح الحيوية الفرنسية، البعد الأوروبي	غواصات الصواريخ الباليستية SSBNs، صواريخ جو-أرض متوسطة المدى ASMPA
بريطانيا	٢٢٥ رأس حربي تقريباً وتخطط ل ٢٦٠	الردع الأدنى، مخصص للدفاع عن حلف الناتو، التركيز على المصالح الحيوية البريطانية	غواصات الصواريخ الباليستية SSBNs نظام ترايدنت Trident

فرنسا: تمتلك فرنسا أكبر ترسانة نووية في أوروبا، وتعتمد على ثنائية بحرية وجوية. وتتميز عقيدتها بالاستقلال التام في اتخاذ القرار، مع إمكانية مناقشة "البعد الأوروبي" لمصالحها الحيوية.

المملكة المتحدة: تعتمد المملكة المتحدة على رادع بحري أحادي (نظام ترايدنت)، وقد أعلنت عن نيتها زيادة الحد الأقصى لترسانتها إلى ٢٦٠ رأساً حربياً، في تحول عن سياسة خفض الترسانة التي كانت متبعة سابقاً. كما أن ترسانتها "مخصصة" للدفاع عن حلف الناتو، مما يجعلها أكثر اندماجاً في الإطار الأطلسي.

التطورات الحديثة: نحو "ردع أوروبي"

مبادرة ماكرون لـ "البعد الأوروبي"

في عام ٢٠٢٠، دعا الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون الشركاء الأوروبيين إلى الانخراط في حوار استراتيجي حول "الدور الذي يلعبه الردع النووي الفرنسي في أمنهم الجماعي". كان هذا العرض يهدف إلى توفير مساحة لمناقشة "البعد الأوروبي" للمصالح الحيوية لفرنسا، في محاولة لتعزيز التكامل الدفاعي الأوروبي تحت قيادة فرنسية، وإن كان ذلك قد قوبل بنتائج متباينة.

اتفاقية التعاون النووي بين فرنسا والمملكة المتحدة (يوليو ٢٠٢٥)

تُعد الخطوة الأبرز نحو تعزيز الردع الأوروبي هي الاتفاقية التي وقعها الرئيس الفرنسي ماكرون ورئيس الوزراء البريطاني كير ستارمر في يوليو ٢٠٢٥ . وقد أشار تقرير لـ "ديفينس نيوز" إلى أن البلدين اتفقا على تنسيق ترسانتيهما الذريتين استجابة للتهديدات الكبرى التي تواجه القارة .

•**إعلان نورثوود** (The Northwood Declaration)يمثل هذا الإعلان، إلى جانب تحديث معاهدات لانكستر هاوس لعام ٢٠١٠، إطاراً جديداً للتعاون.

•**التنسيق السياسي لا التشغيلي:** أكدت الحكومة البريطانية أن الردع النووي لكلا البلدين "**مستقل ولكنه يمكن تنسيقه**" . الفكرة هي تحقيق تكامل سياسي، وليس اندماجاً تشغيلياً كاملاً للقوتين النوويتين. وتنص الاتفاقية على أنه "لا يوجد تهديد متطرف لأوروبا لن يستدعي استجابة من كلتا الدولتين" .

•**الهدف الاستراتيجي:** يهدف هذا التنسيق إلى توفير "**دعامة استراتيجية أوروبية جديدة**" (a new European strategic backstop) في ظل قلق الحلفاء الأوروبيين من مستقبل الردع الموسع الأمريكي

التعاون العسكري التقليدي المصاحب

لم يقتصر الاتفاق على الجانب النووي، بل شمل مجموعة من الاتفاقيات العسكرية الأخرى التي تعزز التكامل الدفاعي الأوروبي:

•**التطوير المشترك للأسلحة:** العمل على تطوير صاروخ كروز جديد ليحل محل "ستورم شادو/سكالب"، والتعاون في تطوير أسلحة متقدمة مضادة للطائرات بدون طيار، وتطوير الجيل القادم من صواريخ جو–جو بعيدة المدى.

•**التكامل التشغيلي:** تحديث معاهدات لانكستر هاوس ليشمل هدف التكامل التشغيلي للقوات في مجالات جديدة مثل الفضاء والفضاء الإلكتروني.

•**الوفاق الصناعي:** مكون صناعي يهدف إلى تعزيز إنتاج المعدات العسكرية لكلا البلدين، مما يدعم هدف الاستقلال الاستراتيجي الأوروبي.

تحديات بناء ردع أوروبي مستقل

على الرغم من التطورات الإيجابية، فإن فكرة استبدال المظلة النووية الأمريكية بردع أوروبي مستقل تواجه تحديات جوهرية متعددة الأوجه.

التحدي الكمي والنوعي

إن حجم الترسانتين الفرنسية والبريطانية يمثل تحدياً كمياً واضحاً. فبمجموع أقل من ٥٥٠ رأساً حربياً، فإن ترسانتيهما أصغر بكثير من الترسانة الأمريكية التي تمتلك نحو ١٧٠٠ رأس حربي منتشر. هذا التباين يثير الشكوك حول قدرة الردع الأوروبي على توفير ردع موسع بنفس مصداقية الردع الأمريكي، خاصة في سيناريوهات التصعيد الكبرى.

كما أن هناك تحدياً نوعياً يتعلق بوسائل الإيصال:

•**القدرة الجوية:** تعتمد الولايات المتحدة على قدرات جوية (قنابل نووية مخزنة في أوروبا) كجزء من ردعها الموسع. ومن بين القوتين الأوروبيتين، تمتلك فرنسا فقط مكوناً نووياً جوياً ASMPA، بينما تعتمد المملكة المتحدة حصرياً على الغواصات Tri-dent، مما يجعل استبدال القدرة الجوية الأمريكية أمراً صعباً للغاية.

التحدي العقائدي والسياسي

يُعد التباين في العقائد النووية للقوتين الأوروبيتين هو العقبة الأكبر أمام أي تكامل حقيقي:

•**استقلالية فرنسا:** تصر العقيدة الفرنسية على الاستقلال التام في اتخاذ القرار النووي، حيث أن الردع موجه لحماية "**المصالح الحيوية**" الفرنسية. ورغم دعوة ماكرون للحوار، فإن أي محاولة لدمج الردع الفرنسي في إطار أوروبي أوسع قد تتطلب تنازلاً عن هذه الاستقلالية، وهو أمر مستبعد.

•**تخصيص المملكة المتحدة للناتو:** ترسانة المملكة المتحدة مخصصة بالفعل للدفاع عن حلف الناتو. ورغم التعاون الثنائي مع فرنسا، فإن أي تمديد للردع البريطاني خارج إطار الناتو قد يتعارض مع التزاماتها الحالية.

•غيـاب الإجماع الأوروبي: لا يوجد إجماع أوروبي على فكرة بناء ردع نووي مستقل. فدول مثل ألمانيـا وبولندا، الموقعة على معاهدة منع الانتشار النووي، تعارض بشدة امتلاك أسلحة نوويـة مستقلة، وتفضل الاعتماد على الترتيـبات الحالية للناتو. وقد أشـار تحليل لمؤسسة كارنيغي للسلام الدولي إلى أن بـناء ترسانة نووية أوروبية سيكون "طويل الأمد من حيث تكلفة الفرصة وقصير من حيث المصداقية".

التحدي التشغيلي واللوجستي

يـتطلب استبدال الردع الأمريكي جهوداً لوجستيـة وتشغيلية هائلة. فالولايات المتحدة تخزن أسلحة نوويـة في خمس دول أوروبية غير نووية في إطـار "المشاركة النووية" للـناتو. إن إنـشاء بنيـة تحتية ممـاثلة لاستضـافة الأسلحة الـنووية الفـرنسية أو الـبريطانية في دول أخـرى يتطلب تغييرات جـذرية في السيـاسات الوطنـية، وتكاليف باهظة، ومخاطر سياسية كبيرة.

البيئة الأمنية المتغيرة والآفاق المستقبلية

التهديد الروسي المتزايد

إن التهديد الروسي المتزايد، واستخدام موسكو للتهديد النووي التكتيكي كأداة ضغط، هو المحرك الرئيسي لإعـادة التفكير في الردع الأوروبي. وقد أظهرت دراسات أن روسيا لا تأخـذ الردع النووي الأوروبي (الفـرنسي والبريطاني) على محمـل الجد بنفس قدر الـردع الأمريكي. هذا الـواقع يفرض على أوروبا تعـزيز قدراتهـا التقليديـة والنووية لضمان مصداقية الردع في مواجهة أي مغامرة روسية.

التحول الأمريكي نحو المحيط الهادئ

تثير استراتيجية الـولايات المتحدة للـتحول نحو المحيط الهـادئ مخاوف أوروبية من "**الـتخلي**" (Abandonment) أو "**الانسحـاب**" (Decoupling) من الالـتزامـات الأمنـية الأوروبية. وفي حال انـسحاب المظلة النـووية الأمريكية، يـرى خبراء أن "ليس هناك إجابـة حقيقيـة في أوروبا" لملء هـذه الفجوة. هـذا السينـاريو هـو ما يـدفع القادة الأوروبيين إلى التدافع لإعادة التسلح وتقليل الاعتماد على واشنطن كضامن للأمن.

أهمية الردع التقليدي

يؤكد العـديد من المحللين على أن الـردع الأوروبي الفعال يجب أن يركـز على تعزيز القدرات التقليـدية كجزء أسـاسي من الردع الشـامل. فتعزيز الـدفاعات الـتقليدية الأوروبية يقلل من احتماليـة اللجوء المبكر إلى الخيار النـووي، ويزيد من مصداقية الردع بشكل عام. إن الخطوات التي اتخذتهـا فرنسا والمملكة المتحدة لتطوير أسلحة تقليدية متقدمة (مثل صواريخ كروز وأسلحة مضادة للطائرات بدون طيار) تندرج ضمن هذا الإطار.

الخلاصة والتوصيات

يُظهـر التحليل أن الـردع الأوروبي المستقل والـقادر على استبـدال المظلة الـنووية الأمـريكية لا يزال بعيد المنال بـسبب التحديات الكمية والعقـائدية والسياسية. ومع ذلك، فإن التعاون المتـزايد بين فرنسا والمملكة المتحدة، والذي تجسد في اتفاقية يوليو ٢٠٢٥، يمثل خطـوة مهمة نحو تعـزيز "العمود الفقـري" النووي الأوروبي. هذا التنسيق يهـدف إلى توفير شبكة أمان استراتيجيـة في حال تراجع الالتزام الأمريكي، ولكنه لا يزال يعمل كعنصر مكمل ضمن الإطار الأوسع لحلف الناتو.

توصيات

لتعزيز الأمن الأوروبي في ظل البيئة الأمنية المتغيرة، يوصى بما يلي:

١- تعـميق الحـوار الاسـتراتيجـي الأوروبي: يجب على الـدول الأوروبيـة، وخاصة ألمـانيا، أن تسـتجيب لدعوة مـاكرون للحوار حـول البعد الأوروبي للردع الفرنسي، لضمان فهم مشترك للمخاطر والردود المحتملة.

٢- الاستثمار في القدرات التقليدية: يجب أن يستمر التركيز على زيادة الإنفاق الـدفاعي وتعزيز القدرات التقليديـة الأوروبية، لتقليل الاعتماد على الردع النووي في المراحل المبكرة من الصراع.

٣- الحفاظ على وحدة الـناتو: يجـب العمل على تعزيـز التماسك داخل حلف الناتو، وتجنب أي إشارات قد توحي بالانقسام، والتي يمكن أن يستغلها الخصوم.

المراجع

1- Taking the Pulse: Can Europeans Build Their Independent Extended Nuclear Deterrent? - Carnegie Endowment for International Peace (Apr 3, 2025).

2- Can France and the United Kingdom Replace the U.S. Nuclear Umbrella? - Center for Strategic and International Studies (CSIS) (Mar 4, 2025).

3- Nuclear risks grow as new arms race looms - SIPRI Yearbook 2025 (Jun 16, 2025).

4- United Kingdom nuclear weapons, 2024 - Federation of American Scientists (FAS) (Nov 12, 2024).

5- The French nuclear deterrent in a changing strategic environment - Fondation pour la Recherche Stratégique (Mar 11, 2025).

6- France, UK join forces in step toward European nuclear deterrent - Defense News

(Jul 10, 2025).

7- The Northwood Declaration: UK–France nuclear cooperation and a new European strategic backstop - International Institute for Strategic Studies (IISS) (Sep 25, 2025).

8-n Can More British and French Nuclear Cooperation Help Deter Russia? - War on the Rocks (Sep 30, 2025).

9- Can Europe defend itself against a nuclear-armed Russia? - Harvard Gazette (Mar 19, 2025).